الهيكسوس

عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

للدكتور ماهر لبيب

يذهب عصر الهيكسوس اللام قال عنهُ الاستاذ بريستد في كتابه عن تاريخ مصر ما ترجمته : « إن هؤلاء القوم لم يتركوا بعدهم في مصر إلاّ آثاراً يسيرة يصعب على الأثريين الاستدلال بها على شيء حتى على الوطن الأصلي لهؤلاء الغزاة ومدة حكمهم وكيفية سيادتهم »

على أنهُ بالرغم من هذا الكلام فقد تحدثنا في المقال السابق الذي تفضّل المقتطف بنشره في جزء فبراير ١٩٤٢ عن أصل الهيكسوس وموطنهم الاول فأمكننا جلاء الغامض على قدر الجهد في هذه الناحية ونستطيع ان نكشف اليوم من هذا العصر أيضاً ، عن ناحية عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

يحدثنا مانيتون « ان الهيكسوس اختاروا بلدة هوارس عاصمة لهم وان الباعث على تسميتها بهذا الاسم يرجع الى أسباب دينية » فعندما نقارن هذا بما حدثتنا به الآثار نجد انهُ في الوقت الذي كان يحكم فيهِ ملوك طيبة في الجنوب اتخذ الهيكسوس لهم في الشمال بلدة تدعى « حات وعرت » (هوارس) عاصمة لهم ونرى أنها في الأصل الهيروغليفي تكتب بصورة القدم . وهذه الكتابة تعطينا فكرة عن سبب رواية مانيتون من ان تسميتها راجعة الى أسباب دينية

ويصح ان مانيتون عند ذكرهذا جالت بفكره قصة أوزوريس . والمعروف ان أهم شيء في هذه القصة هو ان أجزاء جسم أوزوريس قطعت بواسطة الاله ست ويصح لن يكون عضو من جسمه وهو القدم قد إستقر في هوارس (حات وعرت) وبذلك يكون معنى الاسم بلدة معبد قدم أوزوريس . ومن جهة أخرى نرى ان كلمة « وعرت » تعني « قدم » وهذا المعنى وصل الينا أيضاً في اللغة القبطية (المصرية) مما يجعلنا نقول ان التسمية من الوجهة الدينية جائزة

وقد وصل الينا اسم هذه العاصمة في عصور متأخرة عن عصر الهيكسوس كما في بردية سالييه الأولى مثلاً ، مكتوباً في صورة أخرى غير صورة القدم وهي صورة رجلين أيضاً الى جانب القدم . فمن الجائز جداً أن المصريين بعد طرد الهيكسوس رسموا اسم المدينة بهذا الشكل للدلالة على خروج الهيكسوس منها . إذ ان معنى هذا الرسم الجديد هو مكان الهروب

وذكرنا نص الملكة حتشبسوت في معبد بالقرب من بلدة القوصية أنها أصلحت التلف وأكملت الناقص بعدما كانت البلاد تئن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة حات وعرت (هوارس) في الدلتا . فنستوثق من هذا النص ان عاصمة الهيكسوس حات وعرت في الدلتا . ولا بدّ لنا من تحديد موقعها على وجه الدقة . لدينا لوحة حجرية لأحد الموظفين عاش في ادفو يخبرنا فيها : « انه سافر شمالاً حتى بلدة حات وعرت (هوارس) وجنوباً الى كوش » . وهذا النص يرينا ان الموظف سافر الى أقصى الشمال في الدلتا بالقياس الى كوش الواقعة في أقصى الجنوب

ولدينا رسم لاسم المدينة يدل على انها واقعة على الساحل فهي إذن تقع في شمال الدلتا بالقرب من الساحل

بعد ذلك لدينا رسم آخر لاسم المدينة يدل على أن شطراً منها يطل على طريق صحراوي

وأخيراً بطريق مقارنتها مع بلدة اخرى تدعى « حات وعرت امنتت » اي حات وعرت الغربية » نعلم ان الاولى (عاصمة الهيكسوس) لا بد ان تكون في الجهة الشرقية . فهي تقع إذن في الشمال الشرقي من الدلتا على الحدود الصحراوية وعلى البحر

وقد اختلف العلماء كما هو معروف في تحديد موقع عاصمة الهيكسوس . غير أن Gardiner [1] توصل الى نتيجة يمكن الاطمئنان اليها معتمداً على عوامل متعددة . والعوامل التي بلغت به اليها يمكن تلخيصها فيما يلي :—

(أولاً) المكتشفات التي قام بها الاثري Montet [2] في بلدة تانس

---

(1) A. Gardiner, Tanis and Pi-Ramesse, A Retractation, Ann. Eg. Arch. XIX p. 122 ff.

(2) P. Montet, Les Nouvelles Fouilles de Tanis; P. Monter, Les Dieux de Ramses — aimé — d'Amon à Tanis (in Studies Presented to Griffith) p. 406 ff.

(ثانياً) ثم تحليل Sethe [٣] للوحة حجرية مؤرخة في السنة الأربعمائة من تحديد عبادة الإله ست

وعلى ذكر ما تقدم نقول إنهُ الى عهد قريب كان الرأي السائد بين العلماء هو ان عبادة الاله « ست » لم تأت إلى شمال شرقي الدلتا إلاّ أيام حكم الهيكسوس . والحقيقة أنها أتت الى هذه الجهة قبل ذلك بدليل النص الوارد في مقبرة « بحر نفر » الذي اثبتهُ الاستاذ يونكر في مقالة عام ١٩٣٩ كالآتي : —

« كاهن الاله ست قائد اغاريين الذي في بلدته سزرت » والذي علّق عليهِ بقولهِ « سزرت هذه هي المنطقة التي تقع شمال شرقي الدلتا » فاذا كان تاريخ هذا النص هو الأسرة الرابعة فمعنى هذا أن عبادة الإله ست ترجع الى الدولة القديمة اي إلى ما قبل دخول الهيكسوس في تلك الجهة . وهذا يفسر لماذا كان جد ملوك الرعامسة وبعض ملوك قدماء المصريين يعبد الاله ست إله تلك الجهة

(ثالثاً) تحليل نصوص مصرية أخرى ونصوص يونانية

(رابعاً) مقارنة تبيّن أن الآلهة التي عبدت في « بر — رعمسيس » عاصمة الرعامسة هي بعينها الآلهة التي عبدت في « حات — وعرت » (هواوس) عاصمة الهيكسوس وعلى رأس هذه الآلهة الاله « ست »

***

وقد أسفرت هذه الابحاث عن ان عاصمة الهيكسوس هي تلك البلدة التي اختارها فيما بعد الرعامسة عاصمةً لملكهم وسموها « بر — رعمسيس » وكانت تسمى لدى الهيكسوس « حات وعرت » (هواوس) ثم أطلق عليها اليونان اسم « تانيس » ثم اطلق عليها العرب الاسم الحالي « صان الحجر » الكائنة في شمال الدلتا الشرقي [٤] حيث وجدت اخيراً آثار الملك شيشنق . ونحن نلاحظ ان مدينة هواوس (حات وعرت) التي اتخذها الهيكسوس عاصمة لهم لم تنشأ من العدم وانما قامت على أنقاض بلدة صغيرة كانت معروفة من قبل . وكانت الحكمة من جعلها قريبة من الحدود الشرقية للدلتا هي ان تكون قريبة من بلادهم الأصلية ليسهل عليهم العودة الى وطنهم الأصلي في وقت الحاجة أي بعبارة أخرى لأسباب جغرافية سياسية

(٣) Sethe, Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis

(٤) Pahor Labib. Die Herrschaft dir Hykses in Aegyptin, p. 20 ff

مدة حكم الهيكسوس

اختلف العلماء القدماء منهم والمحدثون في تقدير مدة حكم الهيكسوس بمصر

فيحدثنا مانيتون عن طريق افريكانوس ان مدة حكمهم في مصر هي ٩٢٩ سنة كما يحدثنا أيضاً عن طريق يوسيفوس ان مدة حكمهم في مصر لاتبلغ إلا ٥١١ سنة وهناك فريق من العلماء يسمون أصحاب التوقيت الطول الذين يقبلون توقيت مانيتون مثل P. trie يقدرون حكم الهيكسوس بمدة تقرب من خمسة قرون وربع قرن

وهناك فريق آخر من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المختصر مثل Brensted و Meyer يخالفون الرأي السابق ويعتقدون ان هذه المدة هي مائة سنة فقط .. أما Dubois Richard [٥] فيظن وهو من أصحاب التوقيت المختصر أيضاً أنها مائتا سنة

أما نحن فنرى ان مدة حكم الهيكسوس تبلغ نحو قرن ونصف قرن أي من سنة ١٧٣٠ ق.م الى سنة ١٥٨٠ ق.م [٦] وقد توصلنا الى هذه النتيجة مما يأتي : — من المستحيل الأخذ بفكرة التوقيت المطول لأنها تتعارض مع الآثار المعاصرة ومع التاريخ القاون والتاريخ الملكي وعلى هذا الأساس فان المدة التي وصلتنا عن طريق مانيتون وعن أصحاب التوقيت المطول مبالغ فيها كل المبالغة لأن كل الفترة التي ما بين آخر الأسرة الثانية عشرة وأول الأسرة الثامنة عشرة لا تتعدى مائتي سنة وسبع سنوات (من ١٧٨٧ ق.م الى ١٥٨٠ ق.م) .

وأما نظرية بريستد ومايرفي انـ مدة حكم الهيكسوس هي مائة سنة فقط نخالفه وذلك لأن بردية تورين تذكر لنا أن مجموع مدة حكم ست ملوك من الهيكسوس هو مائة وثماني سنوات [٧] وهؤلاء الست هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة عشرة أي أن مدة حكم أول أسرة هيكسوسية بلغ مائة وثماني سنوات فتكون أسرة واحدة من الهيكسوس حكمت وحدها أكثر من المدة التي قدرها بريستد وغيره من العلماء فلذلك لايمكننا الاخذ بهذه النظرية . وكذلك نرى أن قول Dubois Richard مبالغ فيه أيضاً وذلك لأنه لدينا أهم مستند في هذا الموضوع يساعدنا على تحديد مبدأ دخول الهيكسوس مصر وهو لوحة حجرية كبيرة وجدت في مدينة تانيس وهي من عصر الملك رمسيس الثاني وهذه اللوحة التاريخية أقامها رمسيس الثاني تخليداً وتمجيداً لذكرى والده المدعو سيتي ولجده الأكبر المدعو

(٥) Dubois—Richard, Essai sur les Gouvernements de l'Egypte, Le Caire 1941, p. 50

(٦) Pahor Labib, opp. cit. (٧) op. cit.

أيضاً سيتي وتجديداً لعبادة الاله ست . وتتحدث هذه اللوحة عن ملك اسمهُ Nubti وأوردت له اسماً ثانياً وهو « ست » القوي وأرّخت هذه اللوحة يوم ٤ مسرى من السنة الاربعمائة من حكم « نوبتي » ست القوي ولعرف أن « نوبتي » هذا هو اسم الاله «ست» وهو مشتق من المدينة التي عبد فيها هذا الاله . إذاً هذه اللوحة التاريخية تتحدث (أولاً) عن عصر يرجع إلى ما قبل سنة ٤٠٠ من تاريخ اقامة هذه اللوحة. و (ثانياً) تتحدث لوحة الاربعمائة سنة عن تمجيد وتخليد ذكرى والد الملك رمسيس الثاني المدعو سيتي والمعروف بالملك سيتي الاول . وتتحدث كذلك عن أحد اجداد رمسيس الثاني وهو جده الاكبر المدعو سيتي ايضاً . وكانت وظيفته « رئيس فرقة الاقواس » تحت حكم الملك حور محب اي حوالي سنة ١٣٣٠ ق . م[٨] ومعنى ذلك أن كلاً من والد رمسيس الثاني وجدّه تسمّى باسم الاله ست لان معنى كلمة سيتي « المنتسب الى الاله ست » . لهذا نجد أنهُ ليس بالغريب ان تتحدث اللوحة عن تجديد (وليس تأسيس كما يزعم بعض المؤرخين) عبادة الاله ست في شرق الدلتا لأن عبادتهُ وجدت قبل ذلك ولاننا نعلم أن الآلهة الذين عبدوا في عصر الهيكسوس في بلدة تانيس هم نفس الآلهة الذين عبدوا في هذه البلدة في عصر الرعامسة وعلى رأسهم الاله ست . وكذلك عرفنا ان عاصمة الهيكسوس «هوارس» هي نفس عاصمة الرعامسة «برـرمسيس» وكلاهما مكان تانيس أو صان الحجر الحالية

***

والآن بعد ان عرفنا ان الجد المقصود بهذه اللوحة هو سيتي وأنه معاصر للملك حور محب فلنضف الاربعمائة سنة الواردة في هذه اللوحة من عصر هذا الجد الذي كان معاصراً للملك حور محب الى السنة التي تولى فيها حور محب العرش وهي سنة ١٣٣٠ ق . م . فينتج لنا سنة ١٧٣٠ ق . م . وهي سنة تجديد عبادة الاله ست ومبدأ دخول الهيكسوس مصر لأن عبادة الاله ست جددت في أول عهد الهيكسوس عند ما جعل بناء العاصمة تانيس (هوارس)

فالآن بعد ان عرفنا ان سنة دخول الهيكسوس مصر هي سنة ١٧٣٠ ق . م . وان أول حكم الاسرة الثامنة عشرة هو سنة ١٥٨٠ ق . م . وهي سنة طرد الهيكسوس نهائيًا من مصر نستطيع ان نؤكد ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة وخمسون سنة

(٨) راجع مقالنا المنشور في مجلة « الفانوس والاقتصاد » العدد الخامس من السنة الحادية عشرة صحيفة ٦٣٣

طائفة من السمك الذي يعيش في غور المحيط في رواية "عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر" لجول فيرن